المفارقة في كتاب أخبار الثُّقَلاء لأبي محمد الحسن الخَلَّال (ت٤٣٩هـ)

The Paradox in the Book of News of the Heavy People byAbu Muhammad al-Hassan al-Khalal (d. 439 AH)

أ.م.د. يحيى حسن خضيرجامعة ذي قار - كلية الآداب

Ass. Prof. Dr. Yahya Hassan Khudair
University of Thi-Qar College of Arts / Iraq
yahyahassan@utq.edu.iq

ملخص

المفارقة في كتاب أخبار الثُقلاء لأبي محمد الحسن الخلّال (ت٤٣٩هـ) ، هي دراسة تحليلية دأبها استقصاء البنية الأسلوبية التقابلية في المتن الحكائي للأخبار التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، بوصف الخبر أصغر وحدة حكائية في التقعيد الاصطلاحي للسرد التراثي العربي ، حيث تمظهرت المفارقة كسمتٍ أسلوبي لازم الإطار التعبيري عن ثنائية الخطاب المفارقي التي طبعت نصوص أخبار الثقلاء ، حتى باتت كل مفردة وكل بنية تركيبية مختارة اختيارا مقصودا لتأدية دورها في تشييد معمار الانزياحات النسقية لأسلوبية المفارقة الساخرة التي تستهدف نبذ فئة الثُقلاء و النيل منهم ، و حتى اتخذ ذلك في تراثنا الأدبي منحى النمذجة ، و الاستهواء في الكتابة التبكيتية عن شخصية الثقيل ، وبلغ حد انفراد هذه الفئة قديماً بأبواب في مدونات الأدب الموسوعية ، والإغراق في التهافت على عنونتها بباب الثقلاء . ولقد ألفت الدراسة المفارقة في هذا الكتاب ظاهرة فكرية مهيمنة و استراتيجية نصية ، فسعت حثيثا لكشف أنساقها المضمرة التي تم العدول بسياقاتها المعهودة عدولا جماليا بغية ابتكار مسار توتري

يحيـق أنماطهـا الاسـتفزازية بالممتـع المؤنـس و اللافـت اللامتوقـع ، واذا تأملنـا السـياق اللغـوي لقرينـة هـذه المفارقـة رأينـا انهـا وقعـت بـين عبارتـين تجعـلان امـر هـذه الحركـة الجسـمية أمـرا مضحـكا حقـا . لقـد حفـل هـذا النمـط مـن التدبيـج الأدبي بفئـة اجتماعيـة بعينهـا ، وهـي فئـة الثقـلاء ، وهـي فئـة منبـوذة طبقيـا واجتماعيـا ، وتعيـش عـلى حاشـية تنطّـع المجتمـع في ذم سـلوكها السـلبي .

الكلـمات المفتاحيـة : (المفارقـة ، أنمـاط المفارقـة ، أخبـار الثُقـلاء ، أبـو محمـد الحسـن الخـلّال) .

Abstract

The paradox in the book "Akhbar Al-Thaqala" by Abu Muhammad Al-Hassan Al-Khalal (d. 439 AH) is an analytical study that has been keen to investigate the stylistic structure of contrast in the narrative text of the news included in this book, as the news is the smallest narrative unit in the technical foundations of the Arab heritage narrative, where the paradox appeared as a stylistic feature that was necessary for the expressive framework of the duality of the paradoxical discourse that characterized the texts of "Akhbar Al-Thaqala", until every word and every chosen syntactic structure became an intentional choice to play its role in constructing the architecture of the systematic shifts of the style of sarcastic paradox that aims to ostracize the category of the heavy people and undermine them, and until this took in our literary heritage the trend of modeling, and seduction in the rebuking writing about the character of the heavy people, and it reached the point of this category being isolated in the past with chapters in encyclopedic literary codes, and the rush to title them with the chapter of the heavy people. The paradoxical study in this book has composed a dominant intellectual phenomenon and a textual strategy, and has strived diligently to uncover its hidden patterns, whose familiar contexts have been aesthetically modified in order to invent a tense path that surrounds its provocative patterns with enjoyable, familiar, and unexpected surprises. If we contemplate the linguistic context of this paradox, we see that it occurred between two phrases that make the matter of this bodily movement a truly funny matter. This style of literary composition has been filled with a specific social class, the heavy-set class, a class that is socially and socially outcast, and lives on the margins of society's criticism of its . negative behavior

Keywords: (paradox, types of paradox, news of the heavy, Abu Muhammad (al-Hassan al-Khalal

مقدمة

كتـاب أخبـار الثُّقَـلاء لأبي محمـد الحسـن الخَـلَّال (ت٤٣٩هـ) ، هـو نمـوذج لما حفـل

به أدبنا العربي قديما من الكتابة السيريّة عن تلك الفئة التي شاعت تسميتها بالثقلاء ، وفشت الترجمة الشخصية للواحد منهم عبر السرد الساخر لتفاصيل علاقته التواصلية مع الآخر ، حتى بات النثر العربي القديم زاخرا بالمتون التي تتحدث عن أخبار التبرّم و الضيق بشخصية الثقيل الذي ((لا ينفك من ثقل الظل ، وسوء الشخصية ، والتيه بالنفس جهلا بمقدارها ، فالبلاء به واقع ، ولا يخفى على كل راءٍ و سامع))[1] ، ولقد حظيت مدونة ابن الخلّال عن أخبار الثقلاء بمكانة جليلة ضمن مؤلفات مكتبة النثر الفكاهي الساخر ، فقد سطر مسروداتها و ساهم في تحويل السيرة الغيرية للثقلاء الى مادة للكتابة ((حافظ جهبذ روى فيها عن السلف أخبارا تذم رؤية الثقيل ومجالسته ، وضمّنها بعض الأشعار المليئة بالمتعة و الحكم ، وانفرد فيها بأخبار عن الثقلاء لا توجد عند غيره ممن تقدمه كابن قتيبة وابن المرزبان وغيرهما ، أو من أتى بعده كالزمخشري وابن عبد البر وابن عبد ربه وغيرهم ... و ممن أفرد أخبار الثقلاء في رسائل لطيفة : الإمام أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ، المتوفى سنة (٣٠٩هـ) في كتابه (ذم الثقلاء) ، وهو كتاب مطبوع ، ويعتبر من أوائل المصنفين في هذا الباب ، ثم جاء بعده الحافظ أبو الحسن الخلال وصنف كتابه (أخبار الثقلاء) الذي بين أيدينا ، و أفرد السيوطي ، المتوفى سنة (٩١١هـ) رسالة أسماها (إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء) ، مطبوع أيضا ، ومن الكتّاب المحدثين الشيخ محمد الزمزمي الغماري - رحمه الله- ، حيث قام بجمع لطيف ، وساق حكايات غريبة من قديم وحديث ، وفي رسالة أسماها (أخبار الثقلاء و المستثقلين) ، طبع بالمغرب ،ومنهم الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتاب (الثقلاء) ، مطبوع سنة (١٩٧٩م) ، و للثقلاء فصول مفردة و أخبار منثورة في كتب كثيرة منها : (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، و(روضة العقلاء) لابن حيان ، و (بهجة المجالس) لابن عبد البر ، و (ربيع الأبرار) للزمخشري ، و (العقد الفريد) لابن عبد ربه))[2]. وقد سعت هذه الدراسة الى محاورة نموذج من نماذج هذا النمط الكتابي ، و تسليط الضوء على الهوية المخصوصة لفئة الثقلاء ، و استشراف السياقات البلاغية المتحكمة بالبنى التواصلية في النصوص التهكمية التي تتحرى التنفير من سلوكهم ، بوصفه مظهرا سلبيا في مجتمع مسكون بظواهر سلبية أخرى كالتطفيل و نحوه ، فـ((أخلاق الثقلاء ممقوتة لدى الناس ، ولا تستسيغها الطباع ، وهي تنافي صفات المؤمنين ، إذ أن المؤمن هيّن ليّن ، سهل الجانب ، خفيف الروح ، حلو الشمائل ، و الثقيل على نقيض ذلك))[3] ، كما أن أصل الوضع اللغوي للفكاهة يدخل في صميم التأسيس الدلالي لهذه الثنائية المفارقة ،

فالرجال الفكهون هم الخارجون من طبع الثقلاء ، المتميزون من طبع البغضاء[٤] ، و لتعرية هذا العيب المجتمعي ، و إبانة شناره تضمنت المفارقة في أخبار الثقلاء للخلّال قدرا كبيرا من السخرية التي يعوّل عليها لأجل النقد و التأنيب و الإيلام التي يراد بها مجتمعة الإصلاح و التهذيب و التأديب ، فـ((في قلب المفارقة تشعّ السخرية بمرارة وفكاهة وجنون ، أي أن السخرية هي روح المفارقة و شرايينها و نسغها . و المقصود بالسخرية هنا ما يدعو للتعجب أو الذهول أو المفارقة أو الضحك أو المفاجأة أو الاستخفاف أو التعرية و التشهير ... أي أن المفارقة جزء طبيعي في الحياة ومكوّن أساس من مكوناتها الطبيعية ... أما وظيفة المفارقة فهي وظيفة إصلاحية في الأساس فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة بخط مستقيم ، حيث أن المفارقة ... تعيد للمجتمع من خلال التعبئة العامة التي تقوم بها مادة الكاتب بوساطة ما تحدثه من التنوير و التثوير بأساليب التحقير أو الكشف أو الموازنة ما يؤدي الى الفعل و التحرك و التغيير))[٥] . وقد تجلى ذلك في البنية الحكائية لأخبار الثقلاء و بتعبير أدق في السرد الفضائحي ، أو السرد المؤسس على تضخيم السلبيات ، ولقد رصدت الدراسة تعددا و تنوعا في زوايا النظر والمعالجة لتجليات تلك السلبيات ، فضلا عن التمايز في البنى الأسلوبية و الموضوعية للخطاب المفارقي و اختلاف مرجعياته ، وعلى وفق ذلك تعددت وتباينت أنماط المفارقة في كتاب الخلّال ، فكانت كالآتي : مفارقة البُعد الديني ، المفارقة البديعية ، مفارقة السلوك الحركي ، مفارقة النغمة ، مفارقة كشف الذات و الاستخفاف بها ، مفارقة أسماء الشخصيات ، و ستتحرى الدراسة البنية الأسلوبية و الدلالية في الخطاب المفارقي لهذه الأنماط تباعا بعد إجالة تمهيدية تعريفية في المؤلف و المفهوم الذي اصطفته الدراسة عنوانا لها .

تمهيد :

- المؤلف

هو أبو محمد الحسن بن أبي طالب محمد بن الحسن بن علي البغدادي الخلّال ، **و** الخَلّال نسبة الى عمل الخل وبيعه ، وهو العالم الحافظ ، الثبت المجود الثقة ، محدث العراق في زمانه ، ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وكان يسكن بغداد ثم تحول الى البصرة ، كان حافظا جليل القدر ، واسع الرواية مكثر الحديث فهماً ، من أبرز مؤلفاته : كتاب أخبار الثُقلاء ، و كتاب الأمالي ، و كتاب فضائل سورة الإخلاص وما لقارئها ، و كتاب كرامات الأولياء ، و كتاب فضائل شهر رجب ، وقد توفي في الخامس و العشرين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة[٦] .

- المفارقة لغةً و اصطلاحاً

يقتضي التأصيل اللغوي للفظة المفارقة بسط القول في الجذر الثلاثي لها ، وهو (فَرَقَ) و المصدر (فَرْقٌ) ، لأن التعيين المعجمي لمدلولها الاشتقاقي لا ينبثق إلا عن هذا الأصل ، فـ((الفَرْقُ خلاف الجمع ، فَرَقه يَفْرُقُه فَرْقاً ، فَرَّقه، ... وفارق الشيءَ مُفارقةْ و فِراقاً : بايَنَهُ))[٧] . وكل ما ورد في معنى الجذر الثلاثي (فرق) يدل على أن مدار مبناها الدلالي يتمحور حول معاني التباعد و الفصل و الافتراق و التنحية و الفرز بين مُبايين استبدت بهما ثنائية الاختلاف حد التعددية و استعصاء تآلفهما و انضمامها في سياق مقامي واحد ، وهذا تجلٍ من التجليات الفلسفية المندغمة في المعنى البنيوي لمفهوم المفارقة ، وهو المعنى ذاته في التراث الغربي ، فالمفارقة أو ((Paradox في أصلها الإفرنجي مأخوذة عن اليونانية ، وتتألف من مقطعين Para ، و يعني المخالف أو الضد ، ومن doxa و يعني الرأي ، فيكون المعنى لهذه الكلمة ما يضاد الرأي الشائع . وقد يستعمل للزراية))[٨]. وهي أي المفارقة ((لم تظهر في اللغة الانجليزية بوصفها مصطلحا إلا في أوائل القرن السادس عشر ، ولكنها لم تجد سبيلها الى الاستعمال إلا في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ، وكانت تعني أن يقول الانسان عكس ما يعنيه ، كما تضمنت معنى السخرية))[٩]، وليس تضمّنها - أي المفارقة - لمعنى السخرية سوى تمظهر لاستعمالها اللغة بطريقة مراوغة ، فـ((التعريف القديم للمفارقة – قول شيء والايحاء بنقيضه – قد تجاوزته مفهومات أخرى كثيرة ، منها مثلا أن المفارقة هو قول شيء بطريقة تستفز عددا لا نهائيا من التأويلات المختلفة ... ويعترف ميويك وهو من أهم دارسي المفارقة بصعوبة تعريف المفارقة ، ويرى أن الكتابة عن هذا الموضوع أقرب ما تكون الى المخاطرة وهي أشبه عنده بمحاولة لملمة الضباب ، وهو يقرّ أن من العسير عليه كناقد أدبي أن يجد تعريفا دقيقا ومختصرا يمكن أن يشمل كل أنواع المفارقة ، ويستبعد ما هو يقع خارج نطاقها . وأن التمييز بينها من زاوية معينة قد لا يكون كذلك من زاوية أخرى . كما أن أنواعها التي يمكن تمييزها وتحديدها بشكل نظري سوف نجدها عند الممارسة العملية متداخلة الواحدة في الأخرى . و يؤكد ميويك أنه لا يوجد تحديد واضح للمفارقة ، ولا توجد قائمة تحتوي على تكنيكات المفارقة وطرق استخدامها ، حتى يتمكن الناقد من وضع بطاقة تعريف على كل عبارة من عبارات المفارقة التي يجدها في النص الأدبي ، وكذلك ترتبط المفارقة عنده بكثير من أشكال التعبير الأدبي فهي تعد مزيجا من فن الهجاء وفن السخرية وفن العبث و الفن الضاحك))[١٠] . ولهذا تواتر مصطلح المفارقة مؤطرا بكثير من الغموض و

التعقيد ، ولأجله تنوعت زوايا التعرض لتعريفها ، ويعود ميويك ليبسط القول في تعريفها من خلال بيان مدى مناسبتها لكينونة الأدب بالقياس الى الفنون الأخرى كالموسيقى و سواها ، حيث يقول : ((إن الذي يجعل الموسيقى والفنون التخطيطية أقل احتمالا من الأدب في اتخاذ صفة المفارقة اعتمادها الكبير المنطوي في طبيعة الصوت واللون والخط على ظاهر حسي يسترعي الانتباه ، ... إن مجال المفارقة في الأدب أكثر اتساعا من ذلك ، فالأدب مثل جميع الفنون يستطيع أن يحاكي بأسلوب ساخر أسلوب فنان آخر أو حقبة أخرى ، ويستطيع مثل الفنون التخطيطية أن يصور مواقف ساخرة لكن لغة الأدب أكثر قدرة على التعامل ما يقول الناس أو يفكرون أو يشعرون أو يعتقدون ، ومن ثم على تناول الفرق بين ما يقول الناس وما يفكرون و بين ما يعتقد و ما هو واقع الحال . و هذا بالضبط هو المجال الذي تنشط فيه المفارقة))[١١] . و يمكن للدراسة حصر ما تقدم بشأن المفهوم الاصطلاحي للمفارقة بأنها بنية لسانية هي حصيلة استعمال للغة بطريقة خاصة تتضمن قدرا كبيرا من الانزياح أو العدول و كسر أفق التوقع ابتغاء تحقيق مسافة توتر جمالية تنعقد خلالها علاقة ثنائية متضادة بين بؤرتين تجهر إحداهما بالمعنى وتخفي الأخرى معنى المعنى ، و ((أيا ما كان من تعريف المفارقة فإن القارئ المتيقظ يعد شريكا أساسيا في صنعها وإدراك مراميها واستكناه أسرارها ، فليست المفارقة مجرد تسجيل للوقائع والأحداث و إنما تتطلب الوعي بالتناقض الذي يكتنف الوجود الإنساني و الحياة بأسرها))[١٢] . وتأسيسا على هذه التلازم بين مبدع المفارقة و متلقيها ، أو كما تصفها الدكتورة نبيلة ابراهيم ((لغة اتصال سري بين الكاتب و القارئ ، وهي قد تكون جملة ، وقد تشمل العمل الأدبي كله))[١٣] ، فضلا عن الانزياحات اللغوية التي وسمت بها المفارقة في كتاب أخبار الثقلاء للخلّال ، و السياق النصي الفكري أو التاريخي الذي انعقدت فيه علاقة التضاد بين الدلالة المرئية و الدلالة الغائرة ، فقد تجلى للدراسة أن الاستراتيجية النصية للمفارقة في هذا الكتاب أبانت عن أنماط من الانزياحات اللغوية و السياقية التي تباينت على وفق منظور التنافر بين طرفي المفارقة ، حيث ((قُسمت المفارقة في الدراسات الحديثة الى أنواع عديدة مما أصبح يصعب على الدارس الاحاطة بها ، وسبب هذا التنوع هو اختلاف المنطلقات التي اعتمدها كل دارس في تقسيمه للمفارقة ، فهناك من قسمها انطلاقا من درجاتها ، وهناك من انطلق من ناحية طرائقها وأساليبها ، والبعض الاخر اهتم بتأثيرها ، كما عُني آخرون بموضوعها))[١٤] ، وقد شكّلت هذه الأنواع ملامح الخطاب المفارقي في

كتاب الخلّال ، و هي :

١- مفارقة البُعد الديني

البُعد الديني هو ((مجموعة من المفاهيم و المصطلحات المتعلقة بالجانب الديني العقدي و المستعملة في النصوص الأدبية كالقصة و الرواية و الشعر وغيرهم ، سواء كانت ضمنية أو صريحة ، وهي لا تشمل الجانب الديني العقدي فقط بل تشمل الجانب الأخلاقي و الاجتماعي و الأسطوري ، وهي تستند بدورها الى الديانات القديمة البدائية أو الى الديانات السماوية))[١٥] و ليس من قبيل الصدفة أن يستهل الخلّال المتن الحكائي لكتابه (أخبار الثقلاء) ، و يمهد تعريته السردية لشخصية الثقيل بوصفه الثيمة المركزية في الكتاب بخبرٍ تتداخل فيه ثلاثة مكونات دينية راسخة في أفق التوقع الديني للمتلقي لتشكّل المرتكزات السياقية لخطاب المفارقة ، وهو قوله : ((أخبرنا عبيد الله بن يعقوب ، حدثنا محمد بن محمد يعني الباغندي ، حدثنا محمد بن هشام بن أبي حيوة ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد صاحب السباح ، عن ابراهيم بن أبي بكر ، عن رجل من الأنصار قال : كان أبو هريرة إذا استثقل الرجل قال : اللهم اغفر لنا وله و أرحنا مِنه))[١٦] ، فالاستهلال الخبري بالهوية الاسلامية لكيان ديني عبّرت عنه نمطية التوثيق العقدي بـ(رجلٍ من الأنصار) ، الذي يؤدي في هذا الخبر المفارقي وظيفة توضيب المنظور السردي للمادة الحكائية نيابة عن الخلّال عبر السرد الاستذكاري الديني للمأثور الاسلامي عن مكوّن ديني هي الشخصية المحورية في بنية الحدث ، وهي شخصية (أبي هريرة) ، حيث تجلى دور المفارقة في هذا الخبر عبر إمضاء سلوكها و وظيفتها الاجتماعية التي اضطلعت بها في انجاز الحدث ، فـ((الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى ، حيث إنها هي التي تصطنع اللغة ، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار ، وهي التي تصطنع المناجاة ، وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها ، وهي التي تنجز الحدث ، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها و أهوائها و عواطفها))[١٧]. وما استدعاء هذه الشخصية و الإحالة على نمذجة سلوكها في التعاطي مع شعورها باستثقال الرجل (الثقيل) عبر المكوّن الديني الثالث أي (الدعاء) في قوله : (اللهم اغفر لنا وله و أرحنا منه) ، إلا بنية نصية سوسيوثقافية من بنيات الخطاب المفارقي في كتاب (أخبار الثقلاء) لابن الخلّال ، ففي ((المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية الى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي ، و يعكس وعيا ايديولوجيا))[١٨] . وقد اتخذ الخلّال من استهلال كتابه بهذا الخبر ، و استحضاره لسلوك شخصيته المركزية مبدأ

أخلاقيا في التعامل مع الشخص الثقيل ، فـ((لابد لكل عمل أو صنعة من هدف أو غاية تصبو إليها ، وكذلك المفارقة فهي تهدف الى كشف المتناقضات وتعرية الواقع الإنساني لتغوص في أعماقه ، ... وللمفارقة وظيفة اصلاحية تتم من خلال معالجة الظواهر السلبية في المجتمع بطريقة فنية ، ففي المفارقة السقراطية نلمس كيفية محاورة سقراط لخصومه ، محاولا تعديل الانحرافات في سلوكهم))[١٩] ، ومما يجدر ذكره هنا أن هذا الاستذكار الخبري يعود بالفائدة على حاضر سرديات المفارقة الأخرى التي تنضوي تحت هذا النوع ، فـ((كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد ، استذكارا يقوم به لماضيه الخاص ... وتحقق هذه الاستذكارات عددا من المقاصد الحكائية مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة))[٢٠]. أما المقصد الحكائي الذي انطوت عليه المفارقة المدججة بالأبعاد الدينية في هذه السردية هو الجهر بشعور التبرّم و الضجر و نفاد الصبر إزاء شخصية الثقيل عبر ثنائية تقابلية انزياحية إزدرائية تضمنت الدعاء له و الدعاء عليه في آن معا ، و في السياق الاستذكاري ذاته ، فالدعاء ((من أجل العبادات ، وأعظم الطاعات ، نجد له منزلة عظيمة ومكانة علية ، رفيعة الشأن ، فالناظر في كتاب الله عز وجل يدرك اهتمام الحق بهذه العبادة فقد افتتح القرآن بالدعاء والثناء في فاتحة الكتاب ، واختتم ايضا بالدعاء في سورة الناس ، وما ذلك الا لأهميته ، ولضرورة أخذه منهج حياة ... فإن الدعاء أهم مقامات العبودية))[٢١]. و قد تجلى الدعاء في هذا النوع من المفارقة بوصفه ((مصدرا للإلهام في الأعمال الأدبية و الفنية ، يسهم في تشكيل الهوية الثقافية للمجتمعات))[٢٢]. ولكن الدعاء الذي ساقه الخلّال في مستهل كتابه لم يكن بكل مواضعاته و مرجعياته سوى منبه أسلوبي لجذب انتباه المتلقي ، عبر خلخلة أنساقه التي تدل عليها قرائن التذلل والخشوع و الانكسار و إفشاء التوسل و طلب الاسترحام و التماس المغفرة التي لم تكن سوى تمظهرات أسلوبية لتورية ثقافية عن علاقة المفارقة الجدلية بين الشخصية الدينية المحورية و شخصية الثقيل ، و التي تكللت بالجملة الختامية الاستفزازية (و أرحنا منه) ، التي دلت على أن المفارقة بالمكوّنات الدينية في هذا الخبر قد جيء بها لردع هذا السلوك المشين ، وان الدعاء لم يكن إلا للهزء بشخصية الثقيل ، و النيل منه بخطاب مفارقي ديني دلّ على أن الداعي قد قصد بدعائه هذا خلاف ما تضمنه سياق دعائه الطلبي و قرائنه اللفظية و المعنوية .

وليس ببعيد عن هذا ، خبر الخلّال الذي ساقه لاحقا ، وهو قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا الحسين بن أحمد بن

صدقة ، حدثنا يحيى بن أيوب ، قال : سمعت يزيد بن هارون يقول للإنسان إذا استثقله : ((اللهم لا تجعلنا ثُقلاء)) [٢٣] ، و كذلك قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا الحسين بن احمد بن صدقة ، حدثنا أحمد بن أبي خيثمة ، حدثنا خالد بن خراش ، حدثنا عمرو بن النضر ، عن اسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت الشعبي يقول لداود الطائي : سألتك بوجه الله إلا قُمت)) [٢٤] ، فالوحدات اللغوية في الصيغ النسقية الدينية (اغفر له و أرحنا منه) و (اللهم لا تجعلنا ثُقلاء) و (سألتك بوجه الله إلا قُمت) ، هي مستويات انزياحية تبرز انعكاسا للمركوز في أفق انتظار المتلقي وفي الثقافة العربية بشكل عام ، كما أنها تفصح عن المنظومة الفكرية للمجتمع في حثّها على الاحتكام الى الدين والأخلاق في التعامل مع الظواهر الاجتماعية السلبية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر التعامل مع الثقيل بالسنن القولية ذات الأبعاد الدينية المأثورة ، وفي ((أحيان كثيرة يبدو صاحب المفارقة كالآمر الذي لا يُطاع ، أو لا يريد لأحد أن ينفذ أوامره على محمل الجد ، أو يدعو ولا يريد لدعائه أن يستجاب ، فهو يدعو ويأمل ألا يتحقق دعاؤه إلا اذا كان تحقق الدعاء على الوجه النقيض للملفوظ ، وكأنه يبعث برسالة يريد نقيضها تماما))[٢٥] ، ومما ذكره الخلّال في هذا السياق أيضا قوله : ((حدثنا علي بن عمر بن حفص المنقري ، حدثنا ابراهيم بن احمد القرمسيني ، حدثنا احمد بن محمد ، حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي ، قال : سمعت أبا معاوية الضرير ، قال : قيل للأعمش بمَ عوّضك الله من ذهاب بصرك ؟ قال : أني لا أرى ثقيلاً)) [٢٦] ، فمما لا شك فيه أن نعمة البصر من اعظم النعم التي حبا الله سبحانه وتعالى بها الانسان ، فهي وسيلة الرؤية و العلم و التأمل و التعرّف و الاضاءة ، وقد اقترن ذكرها في القرآن الكريم بالسمع لأنهما ((أعظم آلات الإدراك إذ بهما إدراك أهم الجزئيات ، وهما أقوى الوسائل ، لإدراك العلوم الضرورية ، ... فالمراد بالأبصار الإحساس المدرك للذوات الذي آلته الحدقة . واقتصر عليهما من بين الحواس لأنهما أهم ، ولأن بهما إدراك دلائل الاعتقاد الحق))[٢٧] ، وقد ورد في الأثر عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت النبي (ص) يقول: قال الله سبحانه و تعالى : ((من أذهبت حبيبته ، فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة)) [٢٨] . فجزاء من حُرم نعمة البصر في الدنيا هو الجنة والتذاذه الأبدي بنعيمها السرمدي ، ومما تجدر الاشارة إليه أن هذه السردية الاسلامية مستقرة كمكوّن ديني في الوعي الجمعي كحقيقة عقدية راسخة في المنظومة الفكرية الاعتقادية الخاصة بمفهوم التعويض الإلهي في عالم الآخرة لمن صبر واحتسب في عالم الدنيا ، وقد

رصدت المفارقة في الخبر آنف الذكر رؤية أحادية في سردية الفقد و التعويض هذه ، فاعتمدتها في سياق المبالغة في تعرية واقع اجتماعي قد ضاق ذرعا بالثقلاء ، واتخذت منها سلاحا في بنية انزياحية تموضعت في حوار ساخر مفعم بالإثارة والدهشة مثّل خرقا لمرجعية التعويض الراسخة في التراث الإسلامي ، و أحال أحادية التلازم بين الفقد الأرضي و الجزاء السماوي الى ثنائية متضادة بين الفقد الأرضي و الجزاء الأرضي تشي بالتنازع و التوتر .

ومن نماذج المفارقة بالبُعد الديني في كتاب أخبار الثقلاء للخلّال قوله : ((أخبرنا ابو القاسم الحسن بن الحسن المعدل ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله البزار ، قال : حدثني اسماعيل بن الفضل البلخي ، قال : حدثني رجاء الوراق ، حدثنا عروة بن ثابت المديني ، عن هشام سعد ، عن اسماعيل بن عمرو القرشي ، عن ابن شهاب ، قال : إذا ثَقُلَ عليك الجليس ، فاصبر فإنها رَبْطَةٌ في سبيل الله ، فإذا أبرمكَ و مَلَّكَ بحديثه ، فجاهد بقيامهِ عنك أو بقيامكَ عنهُ))[٢٩] ، فالربطة أو المرابطة و الجهاد في جملة (فإنها ربطةٌ في سبيل الله) ، و جملة (فجاهد بقيامه عنك) ، فيهما من الإحالة على المرجعية الدينية لسياقهما الثقافي ما يدل على استدعاء قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣٠] ، وقد ورد في تفسيرها : ((أنه أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سرّاء ولا ضرّاء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يرابطوا المشركين ... وقال آخرون اصبروا على دينكم ، وصابروا وعديَ إياكم على طاعتكم لي ، ورابطوا أعداءكم ... وكذلك قوله : ورابطوا ، معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله . قال أبو جعفر إن أصل الرباط ، ارتباط الخيل للعدو ، كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ، ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء))[٣١] ، كما أن ((الجهاد من المعلوم من الدين بالضرورة ، حيث شُرّع من أجل حفظ مقصد ضروري ، وهو مقصد حفظ الدين ، بل هو عبادة ، حيث ان الشريعة جاءت بالترغيب فيه ، وبيان عظم أجره ، وإذا كان كذلك فلا بد من معرفة حقيقته ومقاصده ، ولابد من مراعاة شروطه وضوابطه الشرعية حتى يقوم بدوره في المحافظة على مقصوده الأصلي وهو إعزاز الدين))[٣٢] ، و ((يعرف فقهاء المسلمين الجهاد في اصطلاحهم بأنه بذل الوسع و الطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال أو غير ذلك))[٣٣]. ومما تحدر الإشارة إليه أن صانع المفارقة استثمر هذا المكوّن الديني أي المرابطة و الجهاد في سبيل الله في تشييد خطاب مفارقي استهدف تبكيت كيان الثقيل في خبر جملة جواب الشرط التي

شرعت باب الاحتمال و الاختيار من المخزون الثقافي الاسلامي لتثوير الموقف الاجتماعي المضاد في ردع سلوك الثقيل ، و تهييجه حد إلهاب ذائقة التلقي بهذا النمط من الخطاب المفارقي و استثارتها بالمقدس من كينونتها الروحية . ومن أمثلتها أيضا ، قوله : ((و ذكر عبيد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق ، قال : حدثنا أحمد بن محمد المنادي ، حدثنا ابراهيم بن مهدي الأبلي ، قال : سمعت بشر بن آدم يقول : كنت عند أبي عاصم النبيل ، فجاء رجلٌ فنادى على بابه : يا جارية ! فقال لي أبو عاصم : انظر من هو ؟ فنظرت ، ثم قلت : فلانٌ ، فوضع رأسهُ ، ثم صبر قليلاً ، وقال لي : انظر قد ذهب ؟ فنظرت فإذا هو قد ذهب ، فأنشأ يقول :

عَدمتُ ثقيل الناسِ في كُلِّ مجلسٍ
فيا ربِّ لا تغفر لكلِّ ثقيلِ
إذا ما ثقيلٌ زارنا في رحالنا
فَأُفَّ لهُ من زائرٍ وثقيلِ))[٣٤]

، فلولا التداخل الأدبي بين النثري و الشعري في التشكيل السردي لهذا الخبر ، لكان تكرار كلمة ثقيل أربع مرات ، سمجا ومملا ، كما أن المفارقة بالمكونين الدنيين التي استقلت بعجزي هذه النتفة الشعرية ، للدعاء في قوله : (فيا لا تغفر لكل ثقيل) ، و للاقتباس من قوله تعالى ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾[٣٥] ، في قوله : (فَأُفَّ لهُ من زائرٍ وثقيلِ) ، قد اكتسبت طاقة تعبيرية صوتية و دلالية أتاحها التموضع النصي في الإيقاع الشعري بوصفه مصدرا أثيرا من مصادر الكلام و المعرفة .

٢- المفارقة البديعية

يتجلى في هذا النوع من المفارقة دأب صانعها على توظيف بنية التنافر و المغايرة بين قطبي التضاد ، فضلا عن القدرة الصوتية ، و النغم الصادر من جناس الاشتقاق و التكرار في إنماء الطاقة الصوتية و الدلالية ، و تثوير الخطاب المفارقي ، حيث يبرز في متن الخبر بوصفه مهيمنة أسلوبية تندرج في السعي لإبراز ثيمة التوتر و التناقض في العلاقة مع الثقيل ، و إشاعة التبرّم بوطأة شخصيته ، و فضح فظاظة حضوره في الحدث الحكائي الذي يشتمل على الخبر المفارقي الذي ضمّ مفارقتي البديع البلاغي ، (التضاد) ممثلا بالطباق و المقابلة ، أو المطابقة التي يقول عنها أبو هلال العسكري : ((قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد ، و الليل والنهار ، والحر والبرد))[٣٦] . و التي قيل عنها انها تختلف عن ((ايقاع السجع و الجناس في بساطتهما ومباشرتهما ، حيث نجابه من خلال المقابلة طابع المفارقة ، على نحو يسمح بتصور الاختلاف بين التطريب الأدبي ، و

توليد المتآلف من المتعارض ، و المنسجم من المتقابل))[٣٧]. و مفارقة (جناس الاشتقاق) ، المتشعّب من فن الجناس الذي يُعد ((من الأساليب البديعية التي أدت الى خلق مفارقة اتسمت بسمة جمالية من خلال الجمع بين اللفظتين المتشابهين في الحروف و المختلفين في المعنى ، مما أدى الى كسر أفق التوقع لدى القارئ و من ثمّ حقق المفارقة))[٣٨] ، فجناس الاشتقاق ((و يسمى الجناس المشتق ، وجناس الاقتضاب أيضا ، وهو ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى ، أو هو ما جمع ركنيه أصل واحد في اللغة))[٣٩] . ومن أمثلتها التي ضمّها كتاب الخلّال ، قوله : ((حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن اسحاق ، حدثنا حسن بن خليل ، حدثنا البرجمي ، حدثنا عثمان بن زفر ، عن حبان بن علي ، قال : قال شبرمة :

ومن الناس من يَخِفُّ ومنهم
كرَحَى البزْرِ رُكَّبَ فوقَ ظهري))[٤٠]

، فعلى الرغم من رحابة الفضاء النصي النثري ، و تحرره من صرامة التقيد بالنظم العروضي ، و أن ((البيئة النثرية تُعد الأكثر استعدادا لقبول مثل هذه المفارقات لاقتضائها أساليب درامية وحوارية))[٤١] ، إلا أن أسلوبية المفارقة في الثنائية الضدية التي تتميز بـ((خاصية التحويل أي تحويل الكلمات الى أشياء ، وهذا ما يجعلها مصدرا مهما من مصادر الشعرية ، فالذي يدعو الى لفت الانتباه ، وتيقظ الفكر ، وشدة الاهتمام ، وتوليد اللغة الشعرية التضاد لا المشابهة ، إذ يعد الجمع بين المتضادات مولّدا أساسيا للشعرية))[٤٢] . قد حتّمت في هذا الخبر و سواه من أخبار المفارقة البديعية الآتية الاستعانة بتقانة التداخل الأجناسي لتشكيل بنية المفارقة البديعية موضوعيا وفنيا التي بلغت ذروة الجهر بمقصدية التنكيل بشخصية الثقيل في التركيب التصويري للمشبه (الثقيل) ، و المشبه به (رحى البزر) ، بوصفها معادلا موضوعيا و ثيمة رمزية إجتماعية حضرت في التشبيه التمثيلي كوحدة قياس وزنية حسية موازية لفداحة الشعور بجسامة ثُقل الثقيل ، ومما تجدر الإشارة إليه أن ((التشبيه التمثيلي من أنجع الأساليب و الطرق لجذب القارئ واستمالته ، إذ به تزداد المعاني البعيدة وضوحا، في جو مفعم بالتصوير والخيال ، بحيث تصبح الدلالات الحسية والمعنوية والخيالية متعانقة ، فتتحرك النفوس إليه ، وتتمكن المعاني عند من يعي حقيقتها ، وتتجلى فيه شتى المواقف الحياتية والعواطف الانسانية))[٤٣] ، ومن أمثلتها الأخرى قوله : ((حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق ، حدثنا عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم الخراساني ، حدثنا الحسن بن خليل ، حدثني معاوية بن سلمة

بـن خالـد بـن معاويـة بـن أبي عمـرو بـن العـلاء ، قـال : كان جـدي أبـو عمـرو بـن العـلاء يجلـس إليـه رجـل يسـتثقله ، فـكان إذا طلـع ، دخـل وتركـه . قـال : وكتـب إليـه يسـتعطفه ، قـال : فكتـب إليـه أبـو عمـرو : **أنـت يـا صاحـب الكتـاب ثقيـلٌ وقليـلٌ مـن الثقيـلِ كثـيرٌ**))[٤٤] ، و كذلـك مـن نماذجهـا قولـه : ((حدثنـا عمـر ، حدثنـا الحسـن ، حدثنـا أحمـد ، حدثنـا عبـد الرحمـن بـن قيلـج ، حدثنـا أبـو بـشر بـن بكـير ، عـن اسـماعيل بـن حـماد بـن أبي سـليمان ، عـن أبيـه ، قـال : مـن خـاف أن يكـون ثقيـلاً فهـو خفيـف))[٤٥] ، و قولـه أيضـا : ((وقـال حـماد بـن أبي سـليمان : مـن أمِـنَ أنْ يَثْقُـلَ ثَقُـلَ))[٤٦]. وقولـه : ((حدثنـا عمـر بـن أحمـد ، حدثنـا عبـد اللـه بـن محمـد بـن اسـحاق ، حدثنـا ابـن أبي الدنيـا ، حدثنـا مسـلمة بـن شـبيب ، حدثنـا سـفيان ، قـال : قـال مسـاور الـورّاق : إنمـا تطيـبُ المجالـس بخفـةِ الجُلسـاء))[٤٧] ، وقولـه : ((حدثنـا عمـر بـن أحمـد ، حدثنـا الحسـين بـن أحمـد ، حدثنـا ابـن أبي خيثمـة ، قـال : عـن شـعيب بـن حـرب ، قـال : قـال الثـوري : إنـه ليكـون في المجلـس عـشرةٌ كلهـم يُخِفُّـهُ عـليَّ ، فيكـون فيهـم الرجـلُ الـذي أسـتثقلهُ ، فيثقلُـون عـليّ))[٤٨] . ومثلـه قولـه : ((قـال : وقـال ابـن المبـارك : إنـه ليكـون في المجلـس عـشرةٌ ، كُلهـم يثقـلُ عـليَّ ، فيكـون الرجـلُ منهـم أسـتخفِهُ ، فيخِفـون عـليّ))[٤٩] ، فالمفارقـة البديعيـة في هـذه الأخبـار مجتمعـة قائمـة عـلى أسـاس تـلازم شرطـي بـين طـرفي ثنائيـة ضديـة عِمادهـا نحـت مفارقـة التضـاد وجنـاس الاشـتقاق مـن أصـل سوسـيوثقافي واحـد هـو التـبرّم بالثقيـل ، الـذي يمكـن التمثيـل لـه بالحقـل البديعـي الـدلالي الآتي :

التضاد		جناس الاشتقاق
ومن الناس	ومنهم	يخف خاف خفيف يُخِفُّهُ خفة أستخفِهُ يخِفون
من يخفُّ	كرحى البزر	ثقيل الثقيل ثقيلاً يَثْقُلَ ثقُلَ أستثقلهُ يثقلُون
قليل	كثير	المجالس الجُلساء المجلس
ثقيلاً	خفيف	
عشرة	الرجل	
كلهم يُخِفُّهُ عليَّ	كُلهم يثقلُ عليَّ	
يثقلُون عليّ	يخِفون عليّ	

٣-مفارقة السلوك الحركي

هي المفارقة التي تنهج نهجا غير لغوي في بلوغ أهدافها ، حيث ((ترسم هذه المفارقة صورا للسلوك الحركي لمن تقع منه أو عليه عناصرها ومكوناتها ، وهي حركة عضوية ، أو حركة جسمية عامة ، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية . ويستخدم اصطلاح السلوك الحركي بمعنى المظاهر المختلفة للسلوك التبليغي غير اللفظي بين المشتركين في الخطاب ... واذا كان الاتصال اللفظي يؤدي دورا مهما في مواقف اجتماعية متعددة ، فإن نمط الاتصال غير اللفظي يؤدي هو الآخر دورا مهما ، سواء أكان مصاحبا ومكملا للنمط الأول ، أم مستقلا ، إن حركة الجسم تجعل من الاتصال غير اللفظي عاملا مهما في تفسير الرسالة اللفظية إذا كانت مصاحبة لها ... وهذا النوع من المفارقة إنما يوظف بينونة الاستجابات ومناقضتها للمثيرات في انتاج الدلالة التهكمية في قالب لا ينفك عن التصوير الحركي الكنائي))[٥٠] . ومن أمثلته في كتاب أخبار الثُقلاء للخلّال قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن نصر ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا يعلي بن مهدي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثني رجل من الأعراب قال : كان عمي إذا رأى ثقيلاً ، غُشيَ عليه))[٥١] ، فجملة التركيب الشرطي في هذا الخبر ، تشي بأن الشخصية المحورية في المبنى الحكائي للمفارقة ، وهي شخصية (عمي) تشير الى مرحلة عمرية هي في أفق توقع القارئ مؤهلة لأن توظف في سياق المبالغة في إخزاء الثقيل ، فهي لا تقوى على الصمود أمامه و احتمال رؤيته ، ويُغشى عليها بمجرد مثوله أمامها ، ومثل هذا ـ ((السلوك الحركي يدل على المظاهر المختلفة للسلوك التبليغي غير اللفظي بين المشتركين في الخطاب ، والسلوك الحركي جانب ضروري ومتمم للتحليل اللغوي لخطاب المواجهة))[٥٢] ، فضلا عن أنه سلوك حركي مفارقي يثير الدهشة والسخرية حين يتخطى طور الحركة العضوية أو الجسدية ليبلغ أقصى مدياته في انهيار بدني تام يتكلل بالغشية أو فقدان الوعي و الإغماء ، و الجدير بالذكر أن هذا النمط من المفارقة يُبنى ((على رسم السلوك الغريب في دوافعه ومسبباته _ و الذي ينطوي على مغالطة شنيعة _ رسما لغويا حصيلته صورة تكنى عن الدلالة الثانية ، أو المعنى غير المباشر الذي يتضاد هنا مع حقيقة الشيء وأصله ، وينتج عن ذلك التضاد معنى الاستهزاء و السخرية ... وهذا النوع من المفارقة إنما يوظف بينونة الاستجابات ومناقضتها للمثيرات ، في انتاج الدلالة التهكمية الانتقادية ، في قالب لا ينفك عن التصوير الحركي الكنائي))[٥٣]. ومن أمثلتها أيضا ، قوله : ((حدثني عبد الواحد بن علي ، أبو الطيب اللحياني ،

حدثنا اسماعيل بن محمد النحوي إملاءً ، حدثنا أحمد بن يحيى بن تغلب ، حدثنا زبير ، حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الحميد ، عن ابن ابي يحيى ، قال : كنا نأتي ابن أبي عتيق نَعْرِضُ عليه ، فربما غَمّضَ عينيه ، فنقفُ ، فيقولُ : ما لكم ؟ فنقول : أَنَعَسْتَ ؟ فيقولُ : لا ! ولكن مرَّ بي إنسانٌ ، فاستثقلتهُ ، فغمَّضتُ عينيَّ))[٥٤] ، ولا غرو أن خبر المفارقة هذا يستمد مثل سابقه نجاعة تأثيره في فضح شخصية الثقيل من درامية الحوار الذي كان بمثابة وعاء لصراع بين هويتين متنافرتين ، و وسيط بين سياقين متضادين ، بين أفق توقعٍ يختزل التفسير لعلامة إغماض العينين في نمطية النعاس ، وبين سلوك حركي بصري ساخر يجد في إطباق الأجفان يقظة ذهنية ترخي الجسم من ثقل التوتر الذي استولى عليه لحظة مرّ به ذلك الإنسان الثقيل .

٤- مفارقة النغمة

هي المفارقة التي يتم فيها ((أداء المنطوق على الكلية بنغمة تهكمية ، يعوّل عليها في إظهار التعارض أو التضاد ، بين ظاهر المنطوق وباطنه ، بين سطحه وعمقه ، بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية ، محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن . ومفارقة النغمة نوع من التهكم الذي يبدو ذماً في ثوب المدح ... هو توجيه إهانة في كياسة أو أدب لا لوم عليهما . ولكن يشترط في هذا ، البُعد عن المغالاة أو المبالغة ... وأن المثال المشهور على ذلك هو الاستخدام التهكمي لألقاب مثل السيد أو السيدة أو فخامتكم ، ونحوها لأناس لا تصلح لهم مثل هذه الألقاب ، أي ليسوا أهلا لها على الإطلاق))[٥٥] . ومن أمثلتها في كتاب الخلّال ، قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن نصر بن طالب ، حدثنا عبد الله بن الليث بن النضر ، يعرف بخرولة ، حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : قلت لأبي أسامة : أنت والله ثقيلٌ يا أبا أسامة ! قال : زِد فيها يا بُني و وَخِمْ))[٥٦] ، فإذا أمعنا النظر في هذا الخبر لاستجلاء مفارقة النغمة ، نجد أن قرائن المفارقة فيه تشفّ عن قرينة أسلوبية انزياحية هي مخاطبة الثقيل بكُنية (أبي أسامة) ، و الكُنية هي ((ما صُدّر بأب أو أم في حال كونهما مضافين لما بعدهما))[٥٧] . أما الغاية التي لأجلها يُخاطب المرء بكُنيته عوضاً عن اسمه الصريح ، فهي ((زيادة الدلالة على الاسم ، تكني عن اسم الرجل بالأبوة ، لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته أو كتبت إليه ، إذ كانت الأسماء قد تتفق . و للدلالة على التعظيم أو التوقير أو التفاؤل))[٥٨] ، كما أن الكُنية في الدرس التداولي الحديث هي إحدى الإشاريات الاجتماعية التي تؤطر بناءً على الموقف الكلامي و الوحدات اللغوية المتضمنة في السياق ملامح و أبعاد العلاقة

الاجتماعية بين المتكلم و المخاطب ، كـ((١- بعد القوة أو السلطة ، التي باشرها المتكلم على المخاطب أو العكس ، فقد يكون أحدهما أقوى نفوذا من الآخر ، أو مساويا له ، أو أدنى منه ، ٢- التلاحم وهو يحدد وفقا لدرجات العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، فقد تكون وثيقة أو حميمة وقد تكون بعيدة أو ضعيفة ، ٣- العمر ، قد يكون أحدهما أسن من الآخر أو مقاربا له أو دونه))[٥٩] ، و مما يجدر ذكره هنا أن المتكلم في العلاقة التخاطبية التي تضمنها هذا الخبر قد توخى استراتيجيات الخطاب التداولي مجتمعة لإبداع مفارقة النغمة ببراعة ومهارة ، و هي الاستراتيجيات ذاتها التي استهل د. عبد الهادي بن ظافر الشهري كتابه التأسيسي (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية) ، بالحديث عنها إجمالا في مقدمة الكتاب ، ابتداءً بـ((الاستراتيجية التضامنية ، ففيها يصبح طرفا الخطاب وكأنهما من الأقران لغة ، ويمكن أن يُعبّر المرسل عن تلك العلاقة بأدوات لغوية كثيرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، الأدوات الإشارية اللغوية التي تقرّب البعيد أو تقترب منه ، وتجمع الأطراف المتخاطبة ، مثل استعمال الاسم الأول والألقاب والكُنى ... وتحت هذا المعيار ، معيار العلاقة التخاطبية ، يندرج صنف آخر من الاستراتيجيات هو الاستراتيجية التوجيهية التي تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه ، مثل أساليب الأمر والنهي الصريحين والتحذير والإغراء ، ومن خلالها يبرز دور السلطة الاجتماعية وغير الاجتماعية في إعطائها المرسل نفوذا يمارسه من خلال الأدوات اللغوية ... وفي هذا السياق وباستخدام هذه الاستراتيجية ، لا يجد المرسل إليه بداً من الامتثال والتنفيذ ، بالرغم من أن هذه الاستراتيجية لا تمارس فعاليتها وقوتها إلا بناء على معرفة سياق أطراف الخطاب ، ومعرفة العلاقات بينهم ... ويمكننا أن نصنّف استراتيجية نسميها استراتيجية الإقناع ، انطلاقا من أن المرسل يتوخاها لتحقيق مآرب كثيرة ، ويستخدم لذلك آليات متعددة و حيلا لغوية مختلفة ... ويمكن أن يتوخى المرسل في الخطاب الواحد استراتيجيات مختلفة))[٦٠] . وتلوح في الخبر ذاته قرينة القسم في قوله : (أنت والله ثقيل) ، فهي ذات ((قوة إنجازية في التبليغ والحجاج أثناء عملية التخاطب والتواصل بين الناس ، وقد يُعزى ذلك الى جانبين ديني ، يتمثل في قدسية القسم وارتباطه بالمعاني الدينية المقدسة ، حيث يكون الاستدلال به أشد تأثيرا وإقناعا في النفس والعقل معا ، و آخر اجتماعي ، يتجسد في التداول والاستعمال اليومي لخطاب القسم داخل منظوماتهم الاجتماعية أو معاملاتهم اليومية في مختلف أنحائها ، فبخطاب القسم استغنوا عن الحجج و البراهين

لإقناع المتلقي بحقيقة و صور الأخبار))[٦١]. وقد تلت هذه القرينة قرينة أخرى تمثلت بضمير المخاطب المنفصل (أنت) ، وهو في التداولية من الإشاريات الشخصية الدالة على التعيين و التخصيص و التأشير باللغة ، حيث تعاضدت هذه الدالة اللغوية في حوارية النغمة التهكمية لسياق الموقف مع تكرار خطاب التسمية و النداء بالكُنية في قوله : (قلت لأبي أسامة) ، (أنت يا أبا أسامة) ، كضميمة أسمية شخصية لتنبيه المخاطب (الثقيل) ، ولفت نظره الى إدراك هذه الحقيقة و استيعابها و الاعتراف بها ، وقد أدى احتشاد خطاب المفارقة بهذه الاستراتيجيات النصية مجتمعة التي قدمت المنطوق بنغمة سياقية تهكمية ، الى إذعان المخاطب (الثقيل) ، بل وجنوحه الى الاعتراف ليس بثقله فحسب ، بل الجهر بالدعوة الى تبني نعت اجتماعي يضاعف دلالة التهكم به و السخرية منه ، ويليق بامتهانه ، وازدرائه لذاته ، و انغماسه النمطي في الصورة السوسيوثقافية لشخصية الثقيل ، وهو قوله : (زِد فيها يا بُني و وَخِمْ) ، فـ((الوَخْمُ بالتسكين ، والوَخِمُ ، بكسر الخاء ، ، والوَخِيُم : الثقيلُ من الرجال البَيّن الوخامةِ و الوخُومةِ))[٦٢]، و فعل الأمر (زِد) ، الذي صدر مجردا من جميع دلالات الاستعلاء ما خلا دلالة خطاب المتكلم الأكبر سناً الى الأصغر منه ، بدلالة قرينة ندائه للمتكلم بقوله : (يا بُني) التي هي تصغير لـ(ابن) ، و التي تلاعبت مفارقة النغمة بوظيفتها الاجتماعية ، فدلت في الوقت ذاته على توتر العلاقة التخاطبية بين ثنائيات التقارب و التباعد ، و التداني و التباين ، فقد ((ينشأ التضاد لأسباب اجتماعية مثل التفاؤل و التشاؤم و التهكم و التأدّب))[٦٣]، وهو التضاد الذي لم تكن استراتيجياته سواء التضامنية أو التوجيهية ومن ثمّ الإقناعية إلا مظهرا من مظاهر إخفاء الصراع ، أو التورية عن حدة التناقض و التوتر ، التي أفضت الى انكشاف المفارقة .

٥-مفارقة كشف الذات و الاستخفاف بها

وهي قيام الشخصية المحورية في المفارقة بإخفاء ((نفسه وراء قناع ، فكلماته وحدها ، أو تعارضها مع ما نعرف ، تنتج المفارقة ... وإذ يستخدم صاحب المفارقة تخفيف القول لفظا نجد صاحب مفارقة الاستخفاف بالذات ينزل من قدر نفسه ، و يكون ما يعطيه من انطباع عن نفسه جزءا من وسيلة المفارقة لديه ... إن الهجاء الذي يريد إدانة رذيلة بعينها أو حماقة يستطيع أن يبلغ الأثر بوضع عبارة تحمل تناقضا على لسان شخصية قد تغدو حكيمة أو فاضلة))[٦٤]. و قد تجلى هذا النوع من التناقض المفارقي في الخبر الذي ذكره الخلّال في كتابه ، وهو قوله : ((حدثنا أبو محمد عبد الله بن عثمان الصفار ، حدثنا محمد بن الحسن

بن علي الكوفي الدقّاق ، قال : سمعت أبا عبد الله يونس بن محمد الباهلي الصوفي ، قال : بلغني أن مُطرِّفَ بن مازن دخل على المأمون فقال : بلغني أن عندكم مُصنِّفاً عالماً يقال له عبد الرزاق ، وأنه عمل كتاباً سمّاه (كتاب الثُقلاء) ، وأنه سَمَّاك فيمن سمَّى ؟ قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فما الذي استثقل مِنك ، وأنت لخفيف المجلس ، حسنُ المحادثة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! استثقل طول قلنسوتي و رقَّة عُنُقِ بَغْلَتي !))[٦٥] . للإحاطة بأبعاد هذه المفارقة ومكونات تشكيلها ، و الكشف عن البنيات الثقافية والاجتماعية الثاوية فيها ، لابد من النفاذ الى مضمراتها بشيء من الحفر الثقافي في مرجعياتها ، فمُطرّف بن مازن هذا لم يكن رجلا غريراً أو شخصية وضيعة ، بل هو راوٍ من رواة الحديث ، كما أنه وليّ قضاء صنعاء ، فهو ((مطرف بن مازن الكناني مولاهم أبو أيوب الصنعاني قاضي اليمن ، روى عن معمر بن راشد وابن جريح ويعلى بن مقسم وغيرهم ، وروى عنه الشافعي وبقية بن الوليد وداود بن رشيد وجماعة ... وذكره ابن عدي في ترجمته عن عمر بن سنان ، عن حاجب بن سليمان ، قال : كان مطرف بن مازن قاضي صنعاء رجلاً صالحاً))[٦٦]. ولأجل أنه خفيف المجلس و حسنُ المحادثة ، كما شهد بذلك الخليفة المأمون في سياق استفهامه الاستنكاري الذي لا يخلو من أمر الاستخبار عن مبعث ادراج اسمه في كتاب الثقلاء ، كما لم يخلُ من مضمر تلذذه في السياق ذاته بمتعة توقع الرد ، فإنه لا سبيل الى تلبية رغبة الخليفة في الرد على سؤاله إلا التحلي بأليق مواضعات الامتثال ، و التأدّب في الإجابة ، و الاقتصاد في الكلام معه ولديه ، بوصفه مؤثرا خارجيا ذي سلطة غالبة ، لذلك اختار مطرف بن مازن التناغم مع القالب النمطي السيرذاتي الراسخ في ذهن المأمون عن شخصيته ، فآثر الاقتضاب في الرد ، وتفادى في أثناء ذلك كل ما من شأنه تهديد حظوته ، وزعزعة مكانة الرضا عنه ، فاكتفى بالحد الأدنى من الكلام ، و نزّه جوابه من أي شبهة قولية استفزازية تحتمل دلالات النقض و الدحض أو شبهة الاعتداد بالنفس ، فلاذ بالنكوص وبالانكفاء على الذات ، وفضّل التموضع في البنية المشهدية التعجيبية لمفارقة كشف ذاته والاستخفاف بها ، وذلك في قوله : (استثقل طول قلنسوتي و رقَّة عُنُقِ بَغْلَتي) ، وهو تصوير كاريكاتيري فيه من ازدراء الذات و الهزء بها ما يدعو الى الإضحاك و التفكّه ، فمطرف ينبز ذاته ويغمزها في إطار من الظرف والتندر ، بتقديمه صورة مشوهة عنها و مضحكة ومسلية ، وفي سياق رسمه لها بالكلمات عبث برمزية لازمتين من مظاهر هيئة مشهوري ذلك الزمان ، وهما اعتمار القلنسوة و امتطاء البغلة ، فالقلنسوة ((هي غطاء للرأس

خاص بالرجال ، دخل تقاليد اللباس عند العرب منذ فجر الإسلام ... وانها ذات شكل مخروط قاعدته مستديرة حسب الرأس طويلة تنتهي بذؤابة تدعى التتو ... و نلتقي خلال ما نطالعه بدواوين التاريخ المختلفة بشخصيات بارزة على المستوى الاداري و العلمي كانت تلبس القلانس مع العمامة و بدونها))[٦٧]. كما أنها ((تصنع من الخز ، أو القطن ، أو جلود الثعالب ، ومن ألوانها البيضاء ، و السوداء ، و الصفراء ، و الحمراء ، و الخضراء ، وقد تعمل من نفس قماش الثوب الذي يلبسه الرجل ... و أشارت بعض المصادر الى أن القلنسوة الطويلة في العصر الأموي لبسها الفقهاء و القضاة و التجار وغيرهم))[٦٨]. و أما امتطاء البغال ، فقد بلغ ولع العرب بها ، و إيثار ركوبها مبلغا دفع الجاحظ الى تأليف كتاب سخّره للخوض في شؤونها ، وجعل عنوانه (كتاب القول في البغال) ، ثم انه استهل أبوابه بـ(باب ذكر ركوب الأشراف البغال) ، و بقوله : ((نبدأ إن شاء الله ، بما وصف الأشراف من شأن البغلة ، في حسن سيرتها ، وتمام خلقها ، و الأمور الدالة على السرّ الذي في جوهرها ، و على وجوه الارتفاق بها ، و على تصرفها في منافعها ، و على خفة مئونتها في التنقل في أمكنتها و أزمنتها ، ولم كَلِفَ الأشراف بارتباطها مع كثرة ما يزعمون من عيوبها ... و لقد كلف بارتباطها الأشراف حتى لُقّب بعضهم من أجل استهتاره بها بروّاض البغال ، و لقّبوا آخر بعاشق البغل))[٦٩]. وقد وقف الجاحظ في هذا الباب طويلا عند محاسن ما يُستجاد في البغلة التي تُتخذ للركوب ، و منها طول عنقها ، فذكر من الأخبار ما يثبت أن من ابتغاها أرادها (طويلة العنق ، سوطها عنانها ، طويلة العنان ، عنقاء)[٧٠]. ولهذا اتخذ مطرف بن مازن من هذا العرف الثقافي والاجتماعي السائد أي طول القلنسوة و اعتمار الأشراف لها ، و طول عنق البغلة و كلف الأعيان بركوبها مادة لتصوير ذاته بهذا الشكل الكاريكاتيري ، وحرصا منه على إنجاز وظيفة هذا النوع من المفارقة في تقويض الحيز الذاتي لهويته بإزاء المأمون ، و انجاز التأثير الكوميدي لإمتاع المخاطب ، فقد جعل سلوكه الشخصي و مظهره الخارجي مسرحا للسخرية من ذاته ، و تشيؤ هذه الذات حدّ اختزالها في سمتي مغالطة تركيبية لمظهر هزلي متناقض ، هما طول قلنسوته ورقّة عنق بغلته .

٦- مفارقة أسماء الشخصيات

وهو نوع بارز من أنواع المفارقة في كتاب أخبار الثقلاء لأبي محمد الخلّال ، حيث يستقي أهميته البالغة من بين الأنماط الأخرى من وظيفة عنصر الشخصية و مكانتها في التشكيل السردي للخبر الأدبي ، و ((تعد الشخصية في النص الأدبي بمثابة العصب الحيوي للنص ، فهي

علامة التبدل والتحول والاستمرار في ذلك النص ، فهي تصطنع اللغة ، وتنجز الحدث ، وهي التي تبث الحوار أو تستقبله ، وتصطنع المناجاة ، ولا يتخذ الزمان أو المكان خصوصيته إلا بوجودها ... إن مفارقة أسماء الشخصيات تحدث في النص الأدبي عندما تكون تلك الأسماء متناقضة مع واقع ذلك الشخص ، وهذا يعني أن اسم الشخص لا يتطابق مع الواقع الذي يعيشه ، فصاحب النص يشتغل هنا على اختيار أسماء الشخصيات على نقيض ما تعنيه تلك الأسماء))[٧١] . فسِمَاك بن حرب في الخبر الآتي الذي ذكره الخلّال في كتابه (أخبار الثُقلاء) ، وهو قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد الواعظ إملاءً ، حدثنا موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان الوزير ، قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد ، حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم ، عن حماد الكاتب ، قال : كُنّا نأتي سِمَاك بن حرب ، فنسأله عن الشعر ، ويأتيه أصحاب الحديث ، فيدعهم ويُقبلُ علينا ، ويقول : إنَّ هؤلاءِ ثُقلاءُ !))[٧٢] ، هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة بن ربيعة بن عامر الذّهلي ، المتوفى سنة (١٢٣هـ) ، وكنيته أبو المغيرة الكوفي ، وهو من مشهوري التابعين ، و كان عالما بالشعر، و أيام الناس [٧٣] ، وقد شهدت المفارقة باسم سماك بن حرب انقلابا دلاليا ، وتحولا في الموقف من الانتماء الفكري ، حيث عملت سيرته بوصفه من رواة الحديث المبرّزين بشكل مغاير و متناقض مع هويته الثقافية الخاصة ، وبأسلوب صادم ومدهش لما يتوقعه المتلقي منه ، الأمر الذي يثير انتباهه و يعمق ادراكه لثنائية التضاد المفارقي التي تجلت في إعراضه عن أصحاب الحديث ، و إقباله على من يأتيه ليسأله عن الشعر (أصحاب الشعر) ، متذرعاً بأن أصحاب الحديث ثُقلاء ، وقوله هذا يندرج في الاستراتيجية النصية الإمتاعية و الإقناعية للخطاب المفارقي ، إمتاعية لأن المفارقة باسم الشخصية هنا أسفرت عن تحقيق غرض الإدهاش من خلال كسر أفق التوقع ، و خلخلة العرف السائد باللامتوقع الممكن ، وإقناعية لأن قول سماك بن حرب في سياق هذه الحوارية يُعدّ حجة تبكيتية لتقريع فئة الثقلاء وإباحة ذمهم و النيل منهم . ومن أبرز الشخصيات التي تم توظيفها في هذا النوع من المفارقة لإثارة انتباه المتلقي ، و تزيين العلاقة التخاطبية باستدعاء الشخصيات الأثيرة لديه لترغيبه واستدراجه لإضفاء مزيد من التفاعل النصي مع الرؤية السردية لمادة الخبر الحكائية ، هي شخصية الفرّاء في قول الخلّال : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي ، حدثنا محمد بن قدامة ، حدثنا أبو أسامة ، قال : سمعت هشام بن عروة يقول : أنت أثقلُ من الزَّقَّاقي

! فسألت عنها الفرَّاء فلم يعرفها ، فقال رجلٌ من جلسائه : كانت العرب تَسْهرُ ، فإذا زقا الديكةُ استثقلتها لمجيء الصبح ، فَأَعْجَبَ الفَرَّاءَ))[٧٤] ، فعلى الرغم من أن الخطاب المفارقي في هذا الخبر قائم على ميكانيزم النسق الثقافي لتلقي المثل العربي ، إلا أن حضور شخصية الفرّاء العالم اللغوي الشهير ، و مؤلف كتاب (معاني القرآن) ذائع الصيت ، قد شكل علامة فارقة في التدفق السردي لمحكي الخبر ، ابتداء من لحظة تلقي صيغة التداخل النصي لبنائية المفارقة المَثَلية في قوله : (أنت أثقل من الزقاقي) ، مرورا بشفرة الإدهاش الانزياحي في زعم عدم معرفة الفرّاء بدلالة اشتقاقها اللغوي ، وهو الذي قال عنه ابو العباس ثعلب : ((لولا الفرّاء لما كانت اللغة ... ولولا الفرّاء لسقطت العربية))[٧٥]. و ختاما بتوثيق إعجاب الفرّاء نفسه بشرح رجلٍ من جلسائه لمتن المثل ، بوصف الفرّاء مشاركا إشهاريا مراقبا في العلاقة الاتصالية ، و متلقياً نخبوياً نوعيا لمشهدية المثل ، ولمحاكاته في المفارقة ببنية المثل التي وظفت دلالة المبالغة و التضخيم في الصيغة الصرفية للفظة (أثقل) ، في توبيخ شخصية الثقيل و احتقاره ، فـ((صيغة (أفعل) التفضيل موجودة وجودا واضحا في كتب الأمثال التي وصلت الينا و التي لم تصل . و(أفعل) صيغة من صيغ اللغة العربية ، ترد اسما فتكون دالة على لون أو عيب أو حلية ظاهرة نحو : أحمر وأبيض وأصفر وأصلع وأعرج وأكتع وأملح وأحور وأدعج ... وسهولة التعبير في هذه الصيغة جعلها وسيلة اتخذها الرواة والمعلمون لصياغة ما كان يعنّ لهم من علم ومعرفة ، فأصبح هذا الوزن سجلا للثقافات العربية والاسلامية فقيدوا فيه المعارف الطبيعية والتاريخية والأدبية ، كما أن علماء اللغة والطباع في العراق قد أباحوا لأنفسهم أن يقيدوا علومهم في صورة أمثال على وزن (أفعل) تركيزا لها ، وجمعا لشواردها ، وملّا لشتاتها ، وتسهيلا لطلاب العلم واللغة ... و جعلت العرب لكل سمة انسانية أو طبع بشري مستحبة كانت هذه السمة أم مرذولة ، مثالا من الناس أو نموذجا واقعيا من البشر ، ... واستقى العرب أمثالها من الحيوان ، حيث رأوا فيه منبعا غزيرا يستقون منه نماذج مثالية ، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إنه يندر أن نجد حيوانا في بيئة العرب لم يتخذ مثالا في جانب من الجوانب السلبية أو الإيجابية))[٧٦] ، وفي سياق توظيف اسم الشخصية في هذا النمط من المفارقة ، بوصفها مهيمنة أسلوبية في شبكة الثنائيات التلازمية الضدية ، يتجلى هذه المرة حضور شخصية جبريل الطبيب في قوله : ((حدثنا عمر بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي ، حدثنا محمد بن قدامة ، حدثنا أبو علي الحسن بن علي

الرمادي ، قال : قال جبريل - متطبب كان بالشام - : نجدُ في كتبنا أنّ مجالسةَ الثقيل حُمّى الروح))[٧٧] ، وجبريلٌ هذا هو من أبرز الأطباء السُّريان الكائنين في ابتداء الدولة العباسية ، حيث بلغت شهرته حد انغماس ابن فضل الله العُمري في تدبيج سيرته بأسلوب فني أخّاذ ، وذلك في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، حيث قال : ((جبريل بن بختيشوع يُجلّ أن يقاس بالألفاء ، وأن يقال اسمه إلا مع الخلفاء . عظم ثراؤه ، وعمَّ جداه أن يماثل به أرسطو ونظراؤه ، وخلف ما يتجاوز الحد ، ويداني العد ، مع نفقاته الموسعة ، وصدقاته التي رفلت الأيام في حللها الموشعة حتى شرقت دونه النفوس بحسراتها ، واختنقت القلوب بزفراتها ، حتى كانت الخلفاء تركب الى منزله ، وترغب في إكرام نزله ، وهو بشمم لا يخضع عرنينه ، ولا يخشع أنينه ، ولا يطلع زهر الروض الجني إلا جنينه . قال ابن أب أصيبعة : كان مشهورا بالفضل ، جيد التصرف في المداواة ، عالي الهمة ، سعيد الجد ، حظياً عند الخلفاء . وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله أحدٌ من الأطباء))[٧٨]. وقد تم استحضار شخصية الطبيب جبريل في هذا الخبر في سياق حاجة التمثيل السردي للمفارقة الى توكيد المعنى عبر إعادة إسناد التخييل التصويري في التركيب الاختلاقي الاستعاري في قوله : (مجالسة الثقيل حُمّى الروح) ، الى الميثولوجيا السريانية ، ولإضفاء سمة أسلوبية ميتا تاريخية على النص المفارقي ، الذي سيبدو بفعل هذا التنصيص مستلهما لموروث حكائي من زمن آخر موازٍ لراهن الخطاب المفارقي ، ولا غرو أن مثل هذا الاستحضار لشخصية جبريل ، و الاسناد الشخصي للتمثيل الخيالي من شأنه يحدث تغييرا في التصورات الأخلاقية في التعامل مع ظاهرة الثقلاء ، فيغدو التغيير أسلوبا تعبيريا يلوّن المفارقة ((بما ينطوي عليه من غرابة و تعجيب و طابعا جماليا بديعا ، وهو لا ينشد تحقيق متعة فنية خالصة لدى المتلقي ، ولكن اثارة الحركة الذهنية لخياله ، ودفعه الى الانسياق للمقتضى التخييلي للصور الجمالية الغريبة و العجيبة التي يبتكرها))[٧٩] . ولا أبلغ من رفد التصوير الشعور بفظاظة مجالسة الثقيل بتعبيرية تمثيله بالحمى التي ترهق الروح و الجسد معاً، وهو تجسيد حسي لمعنى ذهني مؤدلج .

خاتمة

دراسة المفارقة في كتاب أخبار الثُقلاء لأبي محمد الحسن الخلّال ، هي دراسة للخطاب المفارقي الذي اشتمل على المضمر الثقافي في المنظور الاجتماعي المناوئ لطبائع و سلوك جماعة منبوذة عُرفت بالثُقلاء ، استأثرت بعناية كثير من الكُتاب في تراثنا الأدبي ، و كان من دأب الدراسة أن تسلط

الضوء على الكيفية النصية و استراتيجية التبئير الحكائي بما تلونت به من حس المفارقة الساخر لتقويض هذا الانهيار الأخلاقي ، فولجت الى بغيتها عبر تقديمها ترجمة وافية لمؤلف كتاب أخبار الثقلاء ، تلتها مادة تنظيرية حول مفهوم المفارقة ، حرصت الدراسة ما أمكنها في أثناء ذلك على أن تجمع و تنظم شتات ما تواتر بشأن تعريفها الاصطلاحي ، ثم اهتدت بما تواضعت عليه الساحة النقدية التي شهدت بزوغ عصر الاحتكام الى المفارقة لتفكيك علامات النص ، واستجلاء جمالياته ، وسبر مقاصده ، ثم خلصت الى أن المفارقة في نصوص أخبار الثقلاء وظفت بطريقة مراوغة لخلخلة البنى النسقية المتجذرة في الأشكال التعبيرية المألوفة ، فتباينت أنماط المفارقة ، ولم تكن حبيسة بؤرة انزياحية واحدة ، بل تعددت و تنوعت فجواتها تبعا لثنائيات التعارض و التنافر بين طرفي العلاقة التخاطبية ، وقد طال ذلك لغة المفارقة السردية ، فما يبدو متسقا مع صورته النمطية الراسخة في ذهن المتلقي يتحول بفعل سياقية المفارقة الى النقيض ، ويسفر عن ازدواجيته على وفق مهيمنة أسلوبية تضفي على الخطاب المفارقي سمة التناقض و التنافر بين ظاهر القول و باطنه ، فيغدو كسر توقع المتلقي مطمحا أثيرا يتحرّاه صانع المفارقة للفت انتباه المتلقي و استفزازه لتلمس ما تستبطنه النصوص من مضمرات و أنساق سوسيوثقافية مختلفة ، فعلى الرغم من أن الثقيل هي شخصية فردية لكن السياقات الضدية في التعامل معها كانت خليطا من أحداث التهكم و السخرية و الإدهاش و التبرّم بثقلها ، فضلا عن العبث و التزييف و الدعاء المضلل ، و التنطع بالبديع و التعريض ، حيث استهدف هذا المزيج التراكمي شخصية الثقيل بغية ردعه و تهذيبه ، تم تقديمه في قالب سردي مفعم بالتندر و التفكه . ولقد أفضى الاستقصاء لأسلوبية المفارقة في كتاب الخلّال الى اكتشاف مستويات عديدة للخطاب المفارقي ، تمثلت بمفارقة البُعد الديني ، و المفارقة البديعية ، و مفارقة السلوك الحركي ، و مفارقة النغمة ، و مفارقة كشف الذات و الاستخفاف بها ، و مفارقة أسماء الشخصيات .

الهوامش

(١) أخبار الثقلاء : ٥

(٢) أخبار الثقلاء : ٧-٨

(٣) الثقلاء أخبار و طرائف : ٦

(٤) ينظر : لسان العرب : مادة مزح

(٥) تأصيل لمفهوم السخرية والمفارقة في الآداب و الفنون ، وكالة معاً الإخبارية ، https://www.maannews.net/news/2013074.html

(٦) ينظر : أخبار الثقلاء : ١١-١٢ ، و فضائل شهر رجب : ١٤-١٥ ، و الأنساب : ٤٢٢/٢ ، و سير أعلام النبلاء : ٥٩٧/١٧ ، و الأعلام : ٢١٣/٢، و الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : ١/ ١٦٦،٥٧ ، و معجم المؤلفين : ٢٦١/٣ .

(٧) لسان العرب : ص ٢٤٣-٢٤٤ ، مادة فرق

(٨) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانكليزية و اللاتينية : ٤٠٢

(٩) المفارقة نبيلة ابراهيم : ١٣٢

(١٠) مفهوم المفارقة في النقد الغربي : ٧٤

(١١) المفارقة تأليف د. سي. ميويك : ١٦- ١٧

(١٢) المفارقة في الحديث النبوي دراسة أدبية : ١٩ ٦

(١٣) المفارقة ، نبيلة ابراهيم : ١٣٢

(١٤) جماليات المفارقة الشعرية عند محمود درويش : ٢٥

(١٥) البعد الديني في ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني : ٢٢

(١٦) أخبار الثقلاء : ١٥

(١٧) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد : ٩١

(١٨) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم : ٣٩

(١٩) المفارقة المصطلح و المفاهيم: ١١٠

(٢٠) بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية : ١٢١-١٢٢

(٢١) دعاء الأنبياء في القرآن الكريم : ٢٩

(٢٢) العنصر الديني في الشعر العباسي دراسة تأثير الدين على الشعراء و أعمالهم في العصر العباسي : ١٢٠٩

(٢٣) اخبار الثقلاء : ٢٠

(٢٤) أخبار الثقلاء : ١٦

(٢٥) خطاب المفارقة في الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا : ٧٥

(٢٦) اخبار الثقلاء : ٢٢

(٢٧) العلاقة بين السمع و البصر و الفؤاد دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم : ٦٤٣

(٢٨) سنن الترمذي : ٦٠٣/٤، حديث رقم ٢٤٠١

(٢٩) اخبار الثقلاء : ٢٢

(٣٠) سورة آل عمرن الآية ٢٠٠

(٣١) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧ / ٥٠١ -٥٠٩

(٣٢) الجهاد بين المقاصد والوسائل : ١١٠

(٣٣) الجهاد في الاسلام ماضيه وحاضره : ٢٠

(٣٤) اخبار الثقلاء : ١٩ و ينظر أخبار الثقلاء ٢٠-٢١ ، ٢١ .

(٣٥) سورة الاسراء آية ٢٣

(٣٦) كتاب الصناعتين : ٣٠٧

(٣٧) البديع دراسة في البنية والدلالة : ٤٠

(٣٨) جماليات مفارقة الجناس في الشعر الصوفي حتى نهاية القرن السابع الهجري : ٧٤

(٣٩) فن الجناس : ١١٤

(٤٠) اخبار الثقلاء : ١٧-١٨

(٤١) جماليات المفارقة الشعرية عند محمود درويش : ٣٢

(٤٢) الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة :٣٥

(٤٣) التشبيه التمثيلي دراسة تحليلية تاريخية : ٨٥
(٤٤) أخبار الثقلاء : ١٧
(٤٥) أخبار الثقلاء : ١٦-١٧.
(٤٦) أخبار الثقلاء : ١٧
(٤٧) أخبار الثقلاء : ١٨
(٤٨) أخبار الثقلاء : ٢١
(٤٩) أخبار الثقلاء :٢١
(٥٠) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة: ١٤٥-١٤٨
(٥١) أخبار الثقلاء : ١٦
(٥٢) خطاب المفارقة في الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا : ١٠٦
(٥٣) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة : ١٤٨
(٥٤) اخبار الثقلاء : ٢٢-٢٣
(٥٥) المفارقة القرآنية : ٤٢
(٥٦) أخبار الثقلاء : ١٦
(٥٧) شرح كتاب الحدود في النحو : ١٥١
(٥٨) الكنية و اللقب في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية :٢٥٣
(٥٩) العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك : ٢٥٢
(٦٠) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :viii-vii مقدمة الكتاب .
(٦١) المكونات التداولية لنماذج من أسلوب القسم في تراثنا النحوي العربي : ٢٩٠
(٦٢) لسان العرب : مادة وخم
(٦٣) خطاب المفارقة في الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا : ٢٢١
(٦٤) موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها ، د. سي. ميويك :٨١-٨٥
(٦٦) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة : ٢٦٥-٢٦٧
(٦٧) القلنسوة تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب: ٧٥-٧٨
(٦٨) : الألبسة و الحلي و التطييب في مكة المكرمة و المدينة المنورة خلال العصر الأموي من ٤١هـ/٦٦٠م وحتى ١٣٢هـ/٧٤٩م : ٣٩١-٣٩٢
(٦٩) كتاب القول في البغال : ١٧
(٧٠) ينظر : كتاب القول في البغال : ١٨-١٩
(٧١) مفارقة أسماء الشخصيات في رواية السفر آخر الليل ليعقوب الخنبشي : ١٨٩٨ – ١٨٩٩
(٧٢) أخبار الثقلاء : ١٧
(٧٣) ينظر : الأنساب ٦/ ٢١ ، و سير اعلام النبلاء : ٢٣٢/٢ ، و كتاب الوافي بالوفيات : ١٥/ ٢٧٣ ، و الاعلام : ١٣٨/٣ ، و تاريخ الثقات : ٢٠٧
(٧٤) أخبار الثقلاء : ٢٠
(٧٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ٨١
(٧٦) الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل : ٤٣ - ٥١
(٧٧) اخبار الثقلاء : ١٨
(٧٨) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ٩/ ١٨٧-١٨٨
(٧٩) مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين : ١٠٥

مصادر البحث و مراجعه

■**القرآن الكريم**

■خبار الثُقلاء ، أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلّال (ت٤٣٩هـ) ، اعتنى به نظام محمد صالح يعقوبي ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٦م.

■استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٤م

■الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٢م
■الأنساب ، ابو سعد عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ) ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، ط١، مركز الخدمات ولأبحاث الثقافية ، دار الجنان ، بيروت ، ١٩٨٨م
■البديع دراسة في البنية والدلالة ص ٤٠ ، د. عزة محمد جدوع ، مكتبة الرشد ، ط١ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٨م
■بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية ، حسن بحراوي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م
■تاريخ الثقات ، الحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت٢٦١هـ) ، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلق عليه د. عبد المعطي قلعجي ، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٩٨٤م
■تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ، محمد بوعزة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م
■تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، ابو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق ودراسة : د. اكرام الله امداد الحق ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٦م
■تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢٢٤-٣١٠هـ) ، حققه وعلّق حواشيه محمود محمد شاكر ، راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر
■الثقلاء أخبار وطرائف ، أزهري أحمد محمد ، ط١ ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠٠٣م
■الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة ، د. سمر الديوب ، ط١ ، سلسلة مصطلحات معاصرة ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ٢٠١٧م
■الجهاد في الاسلام ماضيه وحاضره ، حامد مصطفى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨
■الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، ابو عبد الله الإدريسي الكتاني (ت١٣٤٥هـ) ، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي ، ط٦ ، دار البشائر الإسلامية ٢٠٠٠م
■سنن الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوة عوض ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ١٩٧٥م.
■سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقوسي ، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م
■شرح كتاب الحدود في النحو ، عبد الله بن احمد الفاكهي ، تحقيق : د. المتولي رمضان احمد الدميري ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٣م
■فضائل شهر رجب ، أبي محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلّال ، حققه وضبط نصه وخرّج أحاديثه أبو يوسف عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن آل محمد ، ط١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٦م
■فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٥٤م
■في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، ص ٩١، د. عبد الملك مرتاض ، سلسلة عالم المعرفة ،

١٩٩٨م
■كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢م
■كتاب القول في البغال ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، حقق الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس : شارل بلّا ، ط١ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٥٥م
■كتاب الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق واعتناء ، أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٠م
■لسان العرب ابن منظور (ت٧١١هـ) طبعة جديدة مصححة وملونة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، ط٣، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٩م
■مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ابن فضل الله العُمري ، تحقيق : كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠ م
■المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانكليزية و اللاتينية ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،١٩٨٢م
■المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، د. محمد العبد ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦م
■مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين ، الأصول و الامتدادات ، د. يوسف الإدريسي ، ط١ ، دار وجوه للنشر والتوزيع ، الرياض ، ٢٠١٥م
■موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها ، د. سي. ميويك ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت- لبنان ، ١٩٩٣م
■نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات كمال الدين الأنباري ، تحقيق : د. ابراهيم السامرائي ، ط٣ ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٩٨٥م

الرسائل الجامعية و الأطاريح

■ البعد الديني في ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني ، أحلام شرماط ، روميساء شرماط ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد الصديق بن يحيى تاسوست – جيجل- كلية الآداب و اللغات ، ٢٠٢٠-٢٠٢١م
■ جماليات المفارقة الشعرية عند محمود درويش ، نوال بن صالح ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.
■ خطاب المفارقة في الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني أنموذجا ، نوال بن صالح ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بسكرة ، ٢٠١١-٢٠١٢م.
■ دعاء الأنبياء في القرآن الكريم ، وداد طاهر محمد نصر ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا . ٢٠١٠م

الدوريات

■ الألبسة و الحلي و التطييب في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال العصر الأموي من ٤١هـ/٦٦٠م وحتى ١٣٢هـ/٧٤٩م، د. طلال بن شرف بن عبدالله البركاتي ، مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور ، المجلد ١١، العدد ٢ ، ٢٠١٩م
■ الأمثال العربية على صيغة أفعل التفضيل ، د.عفيف عبد الرحمن ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، المجلد ٦، العدد ٢١ ، ١٩٨٦م
■ التشبيه التمثيلي دراسة تحليلية تاريخية ، رنا بليق ، مجلة سياقات اللغة و الدراسات البينية

، جامعة الفيوم ، المجلد ٨ ، العدد ٢، ٢٠٢٣م
■ جماليات مفارقة الجناس في الشعر الصوفي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، د. عقيل عبد الزهرة الخاقاني ، منال كامل كردي ، مجلة آداب الكوفة ، العدد ٦١، ٢٠٢٤م
■ الجهاد بين المقاصد والوسائل ، د. ناهض اسماعيل فرحات و د. بسام حسن العف ، مجلة جامعة الأقصى ، المجلد ٢١، العدد الثاني ، ٢٠١٧م
■ العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم ، د. صلاح يعقوب يوسف ، مجلة حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، مجلة حولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، العدد ٣٩
■ العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك ، د. عبد العزيز صابر عبد العزيز ، مجلة الدراسات العربية ، كلية دار العلوم – جامعة المنيا ، المجلد ٣٨، العدد ١، ٢٠١٨م
■ العنصر الديني في الشعر العباسي دراسة تأثير الدين على الشعراء و أعمالهم في العصر العباسي ، م. سيروان جبار خضير ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد ١٣ ، العدد ٤ ، ٢٠٢٣م.
■ القلنسوة تاريخها و تقاليد لباسها عند العرب ، ابو بكر عبد الكافي ، مجلة الفكر ، السنة ٢٥، العدد٧ ، ١٩٨٠م
■ الكنية و اللقب في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية ، د. محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد ٣٤ ، ١٤٤٣هـ
■ المفارقة ، نبيلة ابراهيم فصول ، مجلة فصول المجلد ٧ ، العدد ٤٣ ، ١٩٨٧م
■ مفارقة أسماء الشخصيات في رواية السفر آخر الليل ليعقوب الخنبشي ، د. سلطان بن سعيد بم محمد الفزاري ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية العدد الثامن والثلاثون اصدار يونيو ٢٠٢٣م
■ المفارقة الزمنية ودور قصص الاستبداد في كشفها ، د. عصام عسل حسن ، أحمد صدام كامل يوسف ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٠٢، ٢٠٢٣م
■ المفارقة المصطلح و المفاهيم ، د. شريف عبيدي ، مجلة جيل العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد ٥٣ ، ٢٠١٩م
■ المفارقة في الحديث النبوي دراسة أدبية دراسة أدبية ، د. محمد صبحي عبد الفتاح الجمّال ، مجلة الدراية ، المجلد ٢٠ ، الجزء ٢، العدد ٢، ٢٠٢١م
■ مفهوم المفارقة في النقد الغربي ، نجاة علي ، مجلة نزوى العدد ٥٣، ٢٠٠٨م
■ المكونات التداولية لنماذج من أسلوب القسم في تراثنا النحوي العربي ، د. بومسحة العربي ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المجلد ١٠ ، العدد ٤ ، ٢٠٢١م

المواقع الإلكترونية

■ تأصيل لمفهوم السخرية و المفارقة في الآداب والفنون ، د. المتوكل طه ، وكالة معاً الإخبارية ، https://www.maannews.net/news/2013074.html